بواعث الخلاص من الذنوب

وهو فصل من كتاب: «عدة الصابرين»

للإمام
أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب
ابن قيم الجوزية
٦٩١ - ٧٥١ هـ



تعليق
عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر
غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

دار المحجة

بواعث الخلاص من الذنوب

وهو فصل من كتاب: «عدة الصابرين»



شرطا قَبُولِ العَمَلِ

الإخلاص لله والمتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم

قَالَ الفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ [الملك:٢]، «هُوَ أَخْلَصُهُ وَأَصْوَبُهُ»، قَالُوا: «يَا أَبَا عَلِيٍّ، مَا أَخْلَصُهُ وَأَصْوَبُهُ؟»، فَقَالَ: «إِنَّ العَمَلَ إِذَا كَانَ خَالِصًا وَلَمْ يَكُنْ صَوَابًا لَمْ يُقْبَلْ، وَإِذَا كَانَ صَوَابًا وَلَمْ يَكُنْ خَالِصًا لَمْ يُقْبَلْ حَتَّى يَكُونَ خَالِصًا صَوَابًا. الخَالِصُ أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ، وَالصَّوابُ أَنْ يَكُونَ عَلَى السُّنَّةِ»، ثُمَّ قَرَأَ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف:١١٠].

[«مدارج السالكين» لابن القيم (٢/ ٩٣)]



darelmahadjah@gmail.com
@darelmahadjah

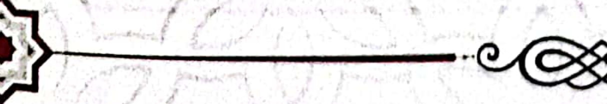
توزيع
مكتبة العلم الصافي

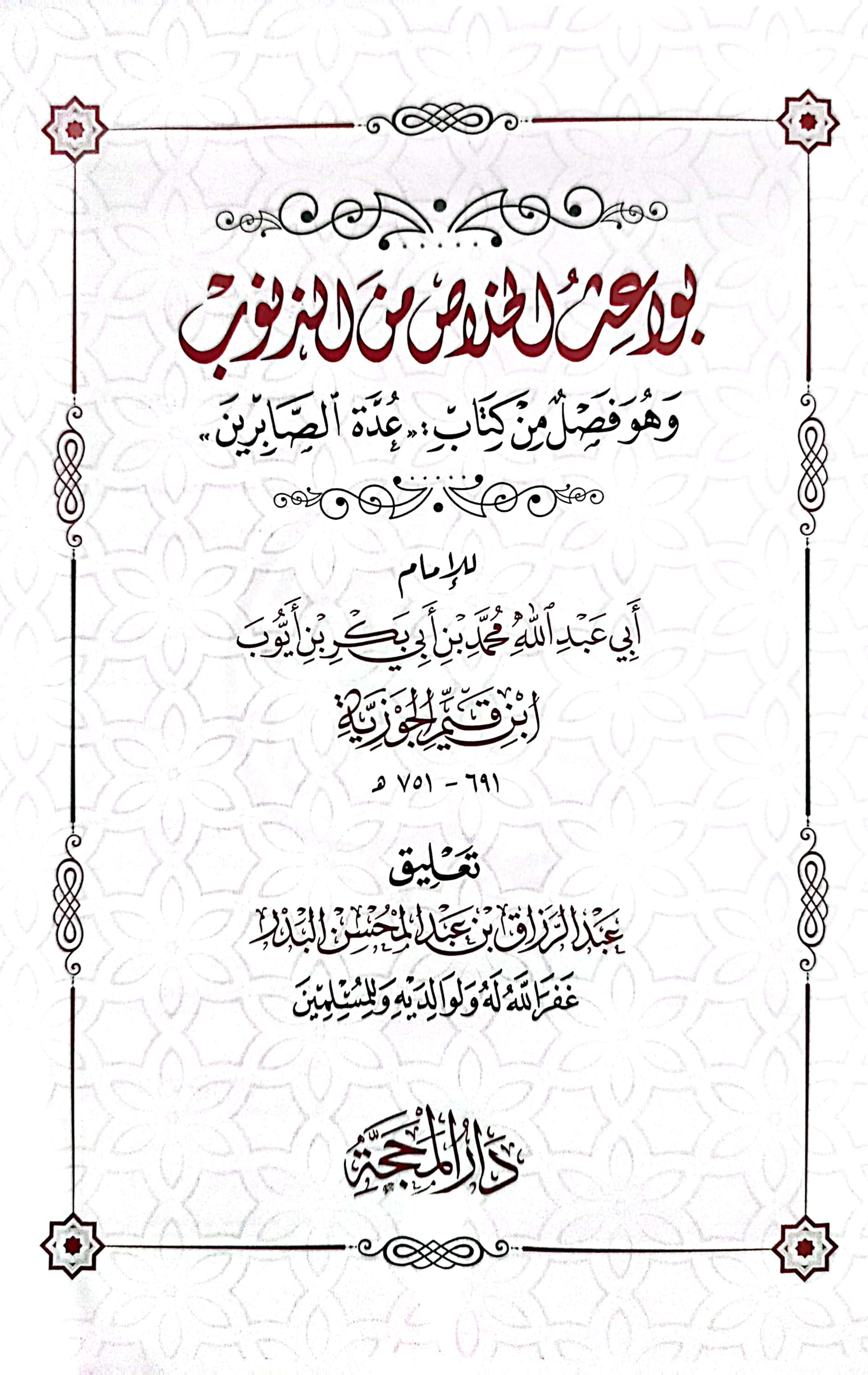
قرب مسجد القدس بالصنوبر البحري
المحمدية، الجزائر العاصمة

0665966923 / 0669266647
t.me/ilmsafi
facebook.com/ilmsafi

الطبعة الأولى

1446 هـ - 2024 م



بواعث الخلاص من الذنوب

وهو فصل من كتاب: «عدة الصابرين»

للإمام

أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب

ابن قيم الجوزية

٦٩١ - ٧٥١ هـ

تعليق

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

دار المحجة


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، وصلى الله وسلَّم على نبينا محمدٍ، وعلى آله وصحبه أجمعين، أمَّا بعد:

فلمَّا كانت الذُّنوب والمعاصي مصدرَ شُؤمٍ وخِزْيٍ للعبد، كان الواجبُ على كلِّ مسلمٍ ناصحٍ لنفسِهِ أن يسعى -بعد الاستعانة بالله تعالى- في البحث عن الأمور والأسباب التي تَدْفَعُهُ إلى مُجَانَبَتِها والبُعد عنها، فإنَّ هذا بابٌ مهم جدًّا يحتاجُ المسلمُ إلى استحضاره دائمًا -وهو: البواعثُ للخلاص من الذنوب-؛ ليسلمَ من العقابِ، وليفوز بجزيل الثواب.

ولهذا نجد العلماءَ قد أوضحوا هذه البواعث التي تُعينُ على الخلاص من الذنوب قديمًا وحديثًا، وكان من جملتهم الإمام العلَّامة المُرَبي ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقد كتبَ فصلًا نفيسًا في كتابه «عدةُ الصابرين وذَخِيرة الشاكرين» ذكر فيه عشرين باعثًا لتقويَةِ الدين والإيمان، والخلاص من الذنوب والآثام، جمعها جمعًا متينًا، وبيَّنها بيانًا نافعًا، فأحببتُ ذكرها في هذا المختصر والتَّعليق عليها بما يوضِّحُ مقاصدها، ويُجَلِّي معانيها، حتى يعمَّ نفعها بين المسلمين، وتكون لهم باب توبة وخلاصٍ من الذنوب.

واللهَ أسأل أن يرحمَ الإمام ابن القيِّم، وأن يرفعَ درجتَهُ في جنات النعيم، وأن يغفر لنا وله ولجميع المسلمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين[1].

وكتبه

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

---

(١) وأصل هذه الرسالة محاضرةٌ ألقيتُها في دولة الإمارات، في يوم السبت الموافق: ٣٠/ ١٠/ ١٤٣٤هـ، وقد قام بعضُ الإخوة بتفريغها، وإعدادها للطباعة، وعَرْضِها عليَّ، فقمت بمراجعتها وتصحيحها، وزدتُ فيها بعض الزيادات والفوائد، وجزى الله خيرًا كلَّ من شارك في تفريغها وطباعتها ونشرها بين المسلمين، وأخصُّ منهم أخي خالد الكندري على جهوده ومساعيه في إخراج الكتاب.

❁ قال الإمام ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«فصل: وأمَّا تقويةُ باعث الدِّين فإنه يكون بأمور: أحدُها: إجلالُ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يُعْصَى وهو يَرى ويَسمع، ومن قام بقلبِهِ مَشْهَدُ إجلالِهِ لم يطاوِعْهُ قلبُهُ لذلك البتَّة».

التعليق:

الباعثُ الأول للخلاص من الذُّنوب:



إجلالُ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وإعظامُهُ

وذلك أن يَشْهَدَ المرءُ في قلبِهِ جَلال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وعظمته، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزُّمَر: ٦٧].

وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝١٣ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح: ١٤].

قال ابن عبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في تفسيرها: «ما لكم لا تُعَظِّمون الله حقَّ عَظَمَتِهِ»(١).

وقال القرطبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله: ﴿أَطْوَارًا﴾: «أي طَوْرًا بعد طورٍ إلى تمامِ الخَلْق ... فمن فَعَلَ هذا وقَدِرَ عليه فهو أَحَقُّ أن تُعَظِّمُوه»(٢).

ومِن شواهد تأثير هذا المشهدِ في النُّفُوس ما جرى للصحابيِّ الجليل جُبَير بن مُطعم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لما قَرَعَ سمْعَهُ بعضُ الآيات التي فيها بيانُ عَظَمَةِ الله، وقامَ في قلبه مقامُ إجلالِ الله وجَبَرُوتِهِ، وأنه هُوَ الخَالِقُ والرَّازق والمُتصرِّف بجميع الخلق؛ دفعَهُ ذلك للإيمان ودخول الإسلام؛ حيث قال: «سمعتُ النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطُّور، فلما بلغ هذه الآية: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ ۝٣٥ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ۝٣٦ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾ [الطور: ٣٥-٣٧]، قال: كاد قلبي أن يطير»(٣).

وفي لفظ آخر: «وذلك أوَّلُ ما وقر الإيمان في قلبي»(٤).

---

(١) أخرجه الطبريُّ في «جامع البيان»، (٢٣/ ٢٩٦).

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ٣٠٣).

(٣) «صحيح البخاري» (٤٨٥٤). (٤) «صحيح البخاري» (٤٠٢٣).

فالعبدُ إذا حدَّثَتْهُ نفسُه بارتكابِ ذنبٍ من الذُّنوب فليَشْهَدْ بقلبِهِ جلالَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وعظمَتَهُ وجَبَروتَهُ، وأنهُ مُطَّلِعٌ على أفعاله وأقواله؛ فإذا استشعر العبدُ ذلك بقلبه كَفَّ عن ارتكاب الذنوب -بإذن الله- لا محالة.

قال بِشْرُ بن الحارث الحافي: «لو تفكَّرَ الناس في عظمة الله تعالى لما عَصوْهُ»(١).



قال الإمام ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«الثاني: مشهدُ محبَّتِهِ سبحانه، فيتْرُكُ معصيَتَهُ محبةً له؛ فـ «إنَّ المُحِبَّ لمن يُحِبُّ مُطيعُ»، وأفضلُ التَّركِ تركُ المُحبِّين، كما أنَّ أفضلَ الطَّاعةِ طاعةُ المُحبِّين، فبَيْن تركِ المُحبِّ وطاعتِهِ وتركِ مَنْ يخافُ العذابَ وطاعتِهِ بَوْنٌ بعيد».

التعليق:

الثاني من هذه البواعث:



محبة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، فإذا أشغلَ العبدُ قلبَهُ بِحبِّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى صَرَفَهُ هذا الانشغال عن الوقوع فيما يُغْضِبه عَزَّوَجَلَّ، لأنَّ المعاصي والذنوب تُفَوِّت على العبد حظَّهُ ونَصِيبَهُ من محبة الله عَزَّوَجَلَّ له بحسب ما وَقَعَ فيه من الذنوبِ والخطايا، ولأنَّ المحبَّةَ الصَّادقة لله عَزَّوَجَلَّ مُستلزِمَةٌ لامتثال أوامِره، واجتنابِ ما يُسخِطُهُ، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١]. ولذلك قيل:

تَعْصِي الإلهَ وأنتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ ... هذا مُحالٌ في القياس بديعُ
لَوْ كانَ حُبُّكَ صادِقًا لأطَعتَهُ ... إنَّ المُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعُ(٢)

---

(١) انظر: «تفسير القرآن العظيم» للحافظ ابن كثير (٢/ ١٨٤).

(٢) تُنسب هذه الأبيات إلى جماعةٍ منهم الإمام الشافعي وابن المبارك وغيرهما، انظر: «ديوان الشافعي» =

❁ قال الإمام ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«الثالثُ: مَشْهَدُ النِّعمة والإحسان؛ فإنَّ الكريمَ لا يُعامِل بالإساءة مَن أَحْسَنَ إلَيه، وإنما يَفعل هذا لِئامُ الناس، فيَمْنَعُهُ مَشهدُ إحسانِ الله ونِعْمَتِهِ عن معصيته حياءً منه؛ أن يكون خيرُ الله وإنعامُهُ نازلًا إليه، ومخالفاتُهُ ومعاصيه وقبائِحُهُ صاعدةً إلى ربِّهِ، فمَلَكٌ يَنْزِلُ بهذا ومَلَكٌ يَعْرُجُ بهذا، فأَقْبِحْ بها من مُقَابَلة!».

التعليق:

الأمر الثالث:



نِعَمُ الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ وإحسانُهُ

فيستشعرُ العبدُ نعمَ الله عَزَّوَجَلَّ الكثيرة عليه، كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، فيحذر أن يُقابلَ هذا الإحسانَ بالإساءة، فالله عَزَّوَجَلَّ يُسبغُ عليه النِّعم، وهو يُقابِلُها بالإساءة والمعصية!

وقد ذكر الإمام عبدُ الغني المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه: «التوَّابين» قصةً عن إبراهيم بن أَدْهَم أنَّه جاءه رجلٌ فقال له: «يا أبا إسحاق إني مُسْرِفٌ على نفسي فاعْرِضْ عليَّ ما يَكونُ لها زاجِرًا ومُسْتَنْقِذًا لقلبي»(١).

فقال له: «إن قَبِلتَ خمسَ خصالٍ وقَدِرتَ عليها لم تَضُرك معصيةٌ، ولم توبِقْكَ لذَّةٌ!».

قال: «هاتِ يا أبا إسحاق».

فقال له: «أما الأولى: فإذا أردتَ أن تعصيَ الله عَزَّوَجَلَّ فلا تأكل رِزْقَه».

فقال الرجل: «فمنْ أينَ آكُلُ وكُلُّ ما في الأرض من رزقِهِ؟!».

قال له: «يا هذا أفيَحْسُنُ أن تأكلَ رِزْقَهُ وتعصيه!».

قال: «لا، هات الثانية».

= (ص٦٧)، و «ديوان ابن المبارك» (ص١٥).

(١) «كتاب التوَّابين» (ص٢٨٥).

قال إبراهيم: «وإذا أَردْتَ أن تعصيه فلا تَسْكُنْ شيئًا من بلادِه».

قال الرجل: «هذه أعظم من الأولى، إذا كان المشرقُ والمغربُ وما بينهما له فأين أسكن؟!».

فقال إبراهيم: «يا هذا أفيَحْسُنُ أن تأكلَ رِزْقَهُ وتَسْكُنَ بلادَهُ وتعصيه؟!».

قال: «لا، هات الثالثة».

قال إبراهيم: «إذا أَردْتَ أن تعصيه وأنتَ تحتَ رِزْقِهِ وفي بلادِه فانظرْ موضعًا لا يراك فيه مبارزًا له؛ فاعصِهِ فيه».

قال: «كيف هذا وهو مُطَّلعٌ على ما في السَّرائِر؟!».

قال: «يا هذا أفيَحْسُنُ أن تأكل رِزقَهِ، وتسكن بلادَه، وتعصيه وهو يراك ويرى ما تجاهره به؟!».

قال: «لا، هات الرابعة».

قال إبراهيم: «إذا جاءك مَلَكُ الموت ليقبض روحك فقل له: أَخِّرْني حتى أتوبَ توبةً نصوحًا، وأعملَ لله عملًا صالحًا».

قال: «لا يقبل مني».

قال: «يا هذا فأنت إذا لم تَقْدِرْ أن تَدفعَ عنك الموتَ لِتتوبَ، وتعلمُ أنهُ إذا جاء لم يكن له تأخيرٌ فكيفَ ترجو وَجْهَ الخلاص؟!».

قال: «هات الخامسة».

قال إبراهيم: «إذا جاءَتْكَ الزَّبانِيَةُ يوم القيامة ليأخذوك إلى النار فلا تذهبْ مَعَهُم».

قال: «لا يدعونني، ولا يَقبلون مني».

قال: «فكيف ترجو النجاة إذًا؟».

قال له: «يا إبراهيم حسبي حسبي، أنا أستغفر الله وأتوب إليه».

❁ ❁ ❁

❁ قال الإمام ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«الرابع: مَشْهَدُ الغضب والانْتِقَام، فإنَّ الربَّ تعالى إذا تمادَى العبدُ في مَعْصِيَتِهِ غَضِبَ، وإذا غَضِبَ لم يَقُمْ لغَضَبِهِ شيءٌ، فَضْلًا عَن هذا العَبدِ الضَّعيفِ».

التعليق:

الأمر الرابع من هذه البواعث:



غَضَبُ الله جَلَّ جَلَالُهُ وانتِقامُهُ

فالله عَزَّوَجَلَّ يَسْخَط ويَغْضَبُ ممَّن عصاه، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزخرف: ٥٥]، فإذا حَدَّثَتْ النفسُ صاحِبَها بالمعصية فليَذْكُرْ غضبَ الله جَلَّ جَلَالُهُ وانتقامَهُ الذي لا يقاومه شيءٌ، فكيف بهذا العبد الضعيف؟!

والله تعالى يقول: ﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ﴾ [طه: ٨١]، فليحذر العبد من فِعل موجِبات حلول غَضَبِ الله عليه، وأسباب نِقمَتِهِ وسَخَطِه.

❁ ❁ ❁

❁ قال الإمام ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«الخامس: مشهدُ الفَوَاتِ؛ وهو ما يفوتُهُ بالمعصية من خَير الدُّنيا والآخرة، وما يحدثُ له بها من كلِّ اسمٍ مَذْمومٍ عَقْلًا وشَرْعًا وعُرْفًا، وتَزولُ عنه من الأسماءِ المَمْدُوحة شرعًا وعقلًا وَعُرفًا، ويَكفي في هذا المشهدِ: مشهدُ فواتِ الإيمان الذي أدنى مثقال ذَرَّةٍ منه خيرٌ من الدنيا وما فيها أضعافًا مضاعفةً، فكيفَ يبيعُهُ بشهوةٍ تَذْهَبُ لذَّتُها، وتبقى سوء مَعيشتِها؟! تذهب الشهوةُ وتبقى الشَّقْوَةُ، وقد صحَّ عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يَزني الزاني حين يَزني وهو مؤمن»، قال بعض الصحابة: «يُنْزَعُ منه الإيمان حتى يَبقى على رأسِهِ مِثْل الظُّلَّة، فإن تابَ رَجَعَ إليه»، وقال بعض التابعين: «يُنْزَعُ عنه الإيمانُ كما يُنْزَعُ عنه القميص فإن تابَ لَبِسَه»، ولهذا رأى النبيُّ ﷺ في الحديث الذي رواه البخاريُّ في «صحيحه» الزُّناةَ في التنُّور عُراةً؛ لأنهم تعَرَّوا من لباس الإيمان، وعادَ تَنُّورُ الشهوةِ الذي كان في قلوبهم تنورًا ظاهرًا يُحمى عليه في النار».

التعليق:

الأمر الخامس من بواعث ترك المعاصي:



فواتُ الخيرِ والفضلِ

فلو عَلِمَ المُقْدِمُ على المعصيةِ كم سيفوته من الخير والفضل لأحجمَ عنها؛ ومن ذلك حِرمانُهُ من تمام الإيمان وكماله، كما قال النبيُّ صلوات الله وسلامه عليه: «**لا يَزني الزَّاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يسرق السَّارق حين يسرق وهو مؤمن**»(١) فهذا العاصي بفعله لهذه الكبيرة قد حُرِمَ اسمَ الإيمان التامِّ، واستحقَّ أن يوصَفَ بأنَّه: (مؤمن فاسق)، أو (مؤمن فاجر)، أو (مؤمن عاصٍ)، وفَوَّت على نفسه خيرات عظيمة في دنياه وأخراه.

ومِنْ فوات الخير الذي قد يَلحَقُ العاصي أيضًا ذهابُ حسناته وأعماله الصَّالحة، فعن ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أنه قال: «**لأَعلمَنَّ أقوامًا من أُمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تِهامة بيضًا، فيجعلها الله عَزَّوَجَلَّ هباءً منثورًا**»، قال ثوبان: يا رسول الله صِفْهُم لنا، جَلِّهم لنا أن لا نكون منهم ونحن لا نعلم، قال: «**أما إنهم إخوانكم، ومن جِلْدَتِكم، ويأخذون من الليل كما تأخذون، ولكنَّهم أقوام إذا خَلَوا بمحارم الله انتهكوها**»(٢).

قال قتادة رَحِمَهُ اللَّهُ: «من استطاعَ منكم أن **لا يُبْطِلَ عملًا صالحًا عَمِلَهُ بعملٍ سيِّئٍ فليَفْعَلْ، فإنَّ الخيرَ يَنْسَخُ الشرَّ، وإنَّ الشرَّ يَنْسَخُ الخيرَ**»(٣).



(١) «صحيح البخاري» (٢٤٧٥)، و «صحيح مسلم» (٥٧).

(٢) أخرجه ابن ماجه في «السنن» (٤٢٤٥)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٠٢٧).

(٣) أخرجه الطبري في «جامع البيان» (٢١/ ٢٢٦)، وذكرتُهُ مختَصرًا.

❁ **قال الإمام ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

«السادسُ: مَشْهَدُ القَهْرِ والظَّفرِ، فإنَّ قَهْرَ الشهوةِ والظَّفرَ بالشيطان له حلاوةٌ ومَسَرَّةٌ وفرحةٌ عند من ذاق ذلك أعظمُ من الظَّفر بعدوِّكَ من الآدميِّين، وأحلى مَوْقِعًا، وأتم فرحة، وأما عاقبَتُهُ فأَحمدُ عاقِبة، وهو كعاقبة شُربِ الدواءِ النَّافع الذي أزالَ داءَ الجسدِ وأعادَهُ إلى صحَّتِهِ واعتِدَالِهِ».

التعليق:

الأمر السَّادس من بواعث ترك الذنوب:



لذَّةُ قَهْرِ النفس وإرغامِ الشيطان

فالنفس والشيطان هما مصدرُ الآثام ومَنْبعُ الشرور، فالعبدُ إذا جانبَ المعصية فإنه قد قَهرَ نفسَهُ، وأَرْغَمَ الشَّيطان، وذاقَ حلاوة العِزَّة بطاعة الرحمن عَزَّوَجَلَّ، وشاهِدُ ذلكَ ما صحَّ عن النبي صلوات الله وسلامه عليه أنه قال: **«إن المؤمنَ ليُنْضِي شياطِينَهُ كما يُنْضِي أحدُكُم بعيرَهُ في السفر»**[1].

وقوله: (يُنْضِي) أي يُضعِفُ ويُهْزِل شيطانَهُ، كالدَّابة التي أَهْزَلَتْها الأسفارُ وأَذْهَبتْ لَحْمَها؛ وذلك بتركه الشهوات وإقباله على الطاعات ومخالفته لأوامر شيطانه[2].

وممَّا يدلُّ أن النَّفسَ والشيطان هما مصدر الآثام والشرور أَمْرُ النبيِّ ﷺ بالاستعاذة منهما في كلِّ صباحٍ ومساءٍ وعند أَخْذِ المضجع؛ فقال لأبي بكر: **«قل: اللهم فاطِرَ** السموات والأرض، عالمَ الغيب والشهادة، ربَّ كل شيءٍ ومَليكِهِ، **أشهد أن لا إله** إلا أنت أعوذ بك من شَرِّ نفسي ومن شرِّ الشيطان وشركه، **قال: قُلْها إذا أصبحتَ، وإذا أمسيتَ، وإذا أخذتَ مَضْجعَكَ»**[3].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٨٩٤٠)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٣٥٨٦).

(٢) انظر: «التنوير شرح الجامع الصغير» للصنعاني (٣/ ٥٢٧)، و«بدائع الفوائد» لابن القيم (٢/ ٧٩٢).

(٣) أخرجه أبو داود (٥٠٦٧)، والترمذيُّ (٣٣٩٢)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٤٠٢).

قال ابن القيِّم: «ذَكَر -النبيُّ ﷺ- مَصْدَرَي الشرِّ؛ وهما: النفس والشيطان، وذكر مَوْرِدَيه ونِهايتَيْهِ؛ وهما: عودةُ على النَّفس أو على أخيه المسلم؛ **فجمعَ الحديثُ** مصادر الشر وموارده، **في أوجزِ لفظٍ وأخْصَرِه وأجْمَعِهِ وأبيَنِه**»[١].

فالعبدُ إذا استحضَرَ هذا المعنى وتَركَ المعصيةَ قهرًا للنفس الأمَّارة بالسُّوء، وإرغامًا لعدوِّهِ الشيطان، واعتزازًا بطاعة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فازَ فوزًا عظيمًا في الدنيا والآخرة.

۞ ۞ ۞

۞ **قال الإمام ابن القيِّم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«السابعُ: مَشْهدُ العِوَضِ؛ وهو ما وَعَدَ اللهُ سبحانه به مِن تعويض من تَرَكَ المحارم لأَجْلِهِ، ونهى نفسَهُ عن هواها، وليُوازِن بين العِوَض والمُعَوَّض فأَيهما كان أولى بالإيثار اختارَهُ وارتَضاهُ لنَفْسِهِ».

التعليقُ:

الأمر السابع من هذه البواعث:



الفوز بالعِوَض من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ

فإن تركت يا عبدَ الله المعصيةَ خوفًا من الله وطلبًا لرضاه، ورعايةً للإيمان فإنَّ اللهَ سيُعَوِّضُك في الدنيا بلذَّةٍ في القلب وسعادةٍ في النَّفسِ، وبركةٍ في الحياة، كما قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]، وسيعوِّضكَ في الآخرة بدخولِ الجنَّة، والتمتُّعِ بنعيمها المقيم جزاءَ تركك للآثام والمعاصي، كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠].

وقال رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: **«إنَّك لن تَدَعَ شيئًا اتِّقاءَ الله إلا أعطاكَ اللهُ خيرًا منه»**[٢].

---

(١) «بدائع الفوائد» (٢/٧١٨).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢٠٧٣٩) وسندُهُ صحيحٌ.

وشواهِدُ هذا الباعث في الشرعِ كثيرةٌ جدًّا، فإنَّ من امتنعَ عن شُرب أمِّ الخبائث -الخمر- بالدنيا عوَّضه ربُّ العالمين بنهرٍ في الجنَّة من خَمْرٍ لم يتغيَّر طعْمُهُ، بخلافِ من تعاطى هذه المحرَّمات واعتادَ فِعْلَها ولم يتبْ إلى الله عَزَّوَجَلَّ منها، فإنَّهُ سيُحرمها في الآخرة كما صحَّ عن النبي صلوات الله وسلامه عليه أنه قال: «**مَنْ شَرِبَ الخمر في الدُّنيا، ثم لم يَتُبْ منها، حُرِمَهَا في الآخرة**»[1].

۞ ۞ ۞

۞ **قال الإمام ابن القيِّم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«الثامن: مَشْهدُ المَعِيَّة، وهي نوعان: مَعِيَّةٌ عامَّةٌ، ومَعِيَّةٌ خاصَّةٌ، فالعامة: اطِّلاعُ الربِّ تعالى عليه، وكونُهُ بعينِهِ، لا تَخفى عليه حالُهُ، وقد تقدَّم، والمقصودُ هنا المَعِيَّة الخاصَّة كقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]، وقوله: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، فهذه المعيَّة الخاصة خيرٌ له وأنفعُ في دُنياهُ وآخرتِهِ؛ مِن قضاءِ وَطَرِه، ونَيْلِ شَهوته على التمام، مِن أوَّل العُمُرِ إلى آخرِهِ، فكيفَ يُؤْثرُ عليها لذَّةً مُنَغَّصَةً مُنَكَّدةً في مُدةٍ يَسيرةٍ من العمر؟! إنَّما هي كأحلامِ نائمٍ، أو كظلٍّ زائل».

التعليق:

الأمر الثَّامن من بواعث ترك الذنوب:



معيَّة الله عَزَّوَجَلَّ الخاصة

والمقصود بمعيَّةِ الله عَزَّوَجَلَّ الخاصة بتلك المعيَّة التي اختصَّها اللهُ بعباده المتقين المحسنين الصابرين، والتي تقتضي الحِفظَ والنُّصرة والرعاية والتأييد.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٥٧٥)، ومسلمٌ (٢٠٠٣).

فالعبد إذا دعته نفسُهُ إلى المعصية فَصَبَر عنها، وجاهدَ هواهُ فإنه سيفوز بهذه المعية الخاصة، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

ومن شواهِد هذه المعيَّة الخاصَّة قِصَّة الثلاثة الذين آواهم المبيت إلى غار، فانحدرت عليهم صخرةٌ من الجبل وأَغْلَقَتْ عليهم الغار، فقالوا: «إنه لا يُنجِيكم من هذه الصخرة إلا أن تَدْعوا الله بصالح أعمالكم»، وكان من كلام أحدهم: «اللهم كانت لي بنتُ عَمٍّ، كانت أحبَّ الناسِ إليَّ، فأردْتُها عن نَفْسِها، فامتَنَعتْ منِّي، حتى أَلَمَّتْ بها سَنَةٌ من السنين، فجاءتني، فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تُخَلِّي بيني وبين نَفْسِها فَفَعَلتْ، حتى إذا قَدِرْتُ عليها، قالت: (لا أُحِلُّ لك أن تَفُضَّ الخاتمَ إلا بِحَقِّهِ)، فتَحَرَّجْتُ من الوقوعِ عليها، فانصرفْتُ عنها وهيَ أحبُّ الناسِ إلَيَّ، وتركتُ الذَّهبَ الذي أَعطَيْتُها، اللهم إن كنتُ فَعَلْتُ ابتغاءَ وَجْهِك، فافْرُجْ عنَّا ما نحن فيه، فانْفَرَجَت الصخرة»[1]، فهذا تَرَكَ فعل الفاحشة التي تهيأت له أسبابُها ابتغاءَ وجهِ الله، فكان الله مَعَهُ بحفظِهِ ورعايته، وأنجاهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من الهلاك في الغار.

۞ ۞ ۞

۞ **قال الإمام ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

«التاسع مشهد المُغَافَصَة[2] والمعاجلة؛ وهو أن يخافَ أن يغافِصَهُ الأَجَلُ فيأخذَهُ الله على غِرَّةٍ، فيُحالُ بينَهُ وبين ما يَشتهي من لذات الدنيا، وبينَهُ وبين ما يشتهي من لذات الآخرة، فيا لها من حَسْرةٍ ما أَمرَّها وما أَصْعَبها، لكن ما يعرفها إلا مَن جَرَّبها، وفي بعض الكتب القديمة: (يا مَن لا يأمن على نفسِهِ طرفَةَ عينٍ، ولا يتمُّ له سرورُ يومٍ، الحذرَ الحذرَ)».

---

(١) أخرجه البخاريُّ (٢٢٧٢) -واللفظ له-، ومسلمٌ (٢٧٤٣).

(٢) المُغافصةُ: هي الأخذُ على غِرَّة. «تهذيب اللغة» للأزهري (٨/ ٦٢).

التعليق:

الأمر التاسع من هذه المشاهد:



الخوفُ من مباغَتَةِ الأَجَل

فإنَّ الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ يقول: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد: ٣٨]، ويقول تعالى واصِفًا قدوم الأجل: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤]، فالإنسانُ لا يدري متى تفجَؤُهُ المَنِيَّةُ، وربما ظَنَّ -وهو في حال القوَّة والشباب- أنه يعيش سنينَ طويلة فلا يَشعُر إلا والموتُ داهَمَهُ فجأةً، وكان الصحابيُّ الجليل ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا يقول: «**إذا أمسيتَ فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء**»[1].

وكان النبيُّ الكريم ﷺ يُذكِّر أصحابه بقدُوم الأجل واقترابه ويقول لهم: «**أكثِروا من ذِكْرِ هادِمِ اللَّذَّاتِ**»[2] لأن هذا التذكر يثني العبدَ عن ارتكاب الذنوب.

❁ ❁ ❁

❁ **قال الإمام ابن القيِّم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«**العاشر: مشهد البَلاءِ والعافية، فإنَّ البَلاءَ في الحقيقة ليس إلا الذنوب وعواقبها، والعافيةُ المطلَقَةُ هي الطَّاعات وعواقبها، فأهل البلاءِ هم أهلُ المعصية وإن عُوفِيَتْ أبدانُهم، وأهل العافية هم أهلُ الطاعة وإن مَرِضَتْ أبدانُهم، وقال بعض أهل العلم في الأثر المروي: (إذا رأيتم أهل البلاء فاسألوا الله العافية)؛ فإن أهلَ البلاء المُبتلون بمعاصي الله والإعراض والغفلة عنه، وهذا وإن كان أعظمَ البلاء فاللفظ يتناول أنواع المبتلين في أبدانهم وأديانهم، والله أعلم**».

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤١٦).

(٢) أخرجه الترمذيُّ (٢٣٠٧)، والنسائيُّ (١٨٢٤)، وابنُ ماجه (٤٢٥٨)، وصححه الألبانيُّ في «الإرواء» (٦٨٢).

التعليق:

الأمر العاشر من هذه البواعث:



مشهد البلاء والعافية

فالذُّنوبُ هي أعظمُ وأخطر بلاءٍ يصيبُ المرءَ، والعافِيةُ المطلقةُ إنما هي في طاعة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والبعدِ عن الذُّنوب، واللهُ عَزَّوَجَلَّ قد قَسم البلاءَ بقَدَر، والعافيةَ بقَدَر؛ ولهذا كان من أعظم الدعاء سؤالُ الله العافيةَ.

ومن ذلك قول النَّبي ﷺ: «**ما مِنْ دَعْوَةٍ يَدعو بها العبدُ أفضل من: اللهم إني أسألك المُعَافاة في الدنيا والآخرة**»[(١)].

وقال ﷺ: «**اسألوا اللهَ العفوَ والعافيةَ، فإنَّ أحدًا لم يُعْطَ بعدَ اليقين خيرًا من العافية**»[(٢)].

وكان ﷺ يوصي أصحابَهُ وأهل بَيته أن يُكثروا من هذا الدعاء، كما قال لعمِّه العبَّاس: «**يا عَمِّ! أَكثِر الدعاء بالعافية**»[(٣)].

❁ ❁ ❁

❁ **قال الإمام ابن القيِّم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«الحادي عشر: أن يُعَوِّدَ باعث الدين ودواعيه مصارعةَ الهوى ومقاومته على التدريج قليلًا قليلًا حتى يُدْرِكَ لَذَّة الظَّفَر، فتقوى حينئذٍ هِمَّتُهُ، فإنَّ من ذاقَ لذةَ شيءٍ قَوِيَت هِمَّتُهُ في تَحصيلِهِ، والاعتيادُ لممارسة الأعمالِ الشَّاقة يزيدُ القوى التي تَصْدُرُ عنها تلك الأعمال، ولذلك نَجِدُ قوى الحمَّالين وأرباب الصنائع الشَّاقَّة تتزايد، بخلاف البَزَّاز والخيَّاط ونحوهما، ومن تركَ المجاهدة بالكلية ضَعُفَ فيه باعث الدين، وقَوِيَ فيه باعث الشهوة، ومتى عَوَّدَ نفسَهُ مخالفةَ الهوى غلبَهُ متى أراد».

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٨٥١)، وصححه الألبانيُّ في «الصحيحة» (١١٣٨).

(٢) أخرجه الترمذيُّ (٣٥٥٨)، وصححه الألبانيُّ في «الإرواء» (٩١٧).

(٣) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١٩٠٨)، وصححه الألبانيُّ في «السلسلة الصحيحة» (١٥٢٣).

التعليق:

الأمر الحادي عشر:



تعزيز مُجاهدةِ دواعي الشر

فإنَّ من فضائل مجاهدة الهوى والشيطان حصول مناعةٍ للنَّفسِ منهما، وبهذه المقاومة أيضًا تضعُف الرغبة في المعاصي ويَسْهُلُ عليه تركها، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العَنكبوت: ٦٩]، وقوله تعالى: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ هُدٗىۗ﴾ [مَريَم: ٧٦]، فالمسلم إذا جاهد وقاوم دواعي الشر وبواعثَهُ، فإن الله يُيسِّر له سُبُلَ الهداية والرَّشاد، بخلاف من استسلم لدواعي الشرِّ، فإنه سيضْعُفُ عن مقاومتها، ويُصبحُ أسير شهواته.

قال ابن القيم: «أكملُ الناس هدايةً أعظمُهُم جهادًا؛ وأفرضُ الجهاد: جهاد النفس، وجهاد الهوى، وجهاد الشيطان، وجهاد الدنيا، فمن جاهد هذه الأربعة في الله هداه الله سبل رضاه الموصلة إلى جنته، ومن تركَ الجهادَ فاته من الهدى بحسب ما عطَّلَ من الجِهاد»(١).



❁ قال الإمام ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«الثاني عشر: كفُّ الباطل عن حديثِ النَّفسِ، وإذا مَرَّت به الخواطر نَفاها، ولا يُؤويها ويُساكِنُها فإنها تصير مُنى، وهي رؤوسُ أموالِ المَفالِيس، ومتى ساكن الخواطر صارت أماني ثم تَقْوى فتَصِيرُ همومًا، ثم تَقْوى فتَصِيرُ إرادات، ثم تَقْوى فتصير عزمًا يَقْتَرِنُ به المراد، فدفعُ الخاطرِ الأوَّلِ أسهلُ وأيْسَر مِن دَفْعِ أثرِ المَقدور بَعد وُقُوعِهِ وترك مُعاوَدَته».

---

(١) «الفوائد» (ص٥٩).

التعليق:

الأمر الثاني عشر:



محاربة خواطر النفس الباطلة

لِأَنَّ المعصية أولُ ما تبدأ تكون خاطرةً في النفوس، ثمَّ تتطوَّرُ لتصبحَ أُمنِيَةً، ثمَّ تتحول إلى هَمٍّ يتحرك في القلب، وبعدها تصيرُ إِرادةً سيئةً، وبعدَ هذا تخْلُصُ لِأَنْ تكون عزمًا يُقارِنُهُ فِعْلٌ لها؛ **فمن الخير للإنسان أن يقطعَ هذه الخواطرَ السيِّئةَ في أول نشأتها**، فإِنَّهُ إن تساهَلَ ووقعَ في المعصية، هانَ عَلَيه فِعلها مرَّةً تِلْوَ المرَّة، حتى تصيرَ صفةً لازمةً وهيئةً ثابتةً -والعياذ بالله-.

وما أجملَ المَثَل الذي ضربَهُ الإمام أحمد رَحِمه اللهُ لحالِ العَبدِ مع الذُّنوب فإِنَّه كان يمشي بأرضٍ فيها وَحْلٌ، فجعل يَتوقَّاه، فغاصَتْ رِجْلُهُ فيه، فخاضَ -أي: صار يمشي في الوَحْلِ بعدَ ذلك دون توقٍّ-، وقال لأصحابه: هكذا العبدُ لا يَزالُ يَتَوقى الذُّنوبَ، فإذا واقَعَها خاضَها[١].



۞ قال الإمام ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«الثالث عشر: قطعُ العَلائقِ والأسبابِ التي تَدْعُوه إلى مُوافقةِ الهوى، وليس المرادُ أن لا يكون له هَوى، بل يَصْرفُ هواهُ إلى ما يَنْفَعُهُ، ويَسْتَعملُهُ في تَنْفِيذ مُرادِ الربِّ تعالى، فإِنَّ ذلك يَدْفَعُ عنه شرَّ استعماله في معاصيه؛ فإِنَّ كلَّ شيء مِنَ الإِنسان يَسْتَعمِلُهُ لله فإِنَّ اللهَ يَقِيه شرَّ استِعماله لنفسِهِ وللشيطان، وما لا يَسْتَعمِلُهُ لله استَعمَلَهُ لنفسه وهواه ولابدَّ، فالعِلم إن لم يكن لله كان للنَّفس والهوى، والعمل إِن لم يكن لله كان للرِّياء والنِّفاق، والمالُ إن لم يُنْفَق لله أُنفِقَ في طاعة الشَّيطان والهوى، والجاهُ إن لم يُسْتَعمَل لله استَعْمَلَهُ صاحِبُهُ في هواهُ وحظوظِهِ، والقوةُ إن لم يستعملها في أمر الله

(١) «الآداب الشرعية» لابن مفلح (١/ ١١٢).

استَعْمَلَتْهُ في معصيته، فمَنْ عَوَّدَ نفسَهُ العملَ لله لم يكن عليه أَشَقَّ مِن العمل لغيره، ومَنْ عَوَّد نفسَهُ العملَ لهواه وحظِّهِ لم يكن عليه أشقَّ من الإخلاص والعمل لله، وهذا في جميع أبواب الأعمال فليس شيء أشقُّ على المنفق لله من الإنفاق لغيره، وكذا بالعكس».

التعليق:

الأمر الثالث عشر:



صَرْف الهوى إلى ما يُحِبُّهُ الله جَلَّجَلَالُهُ

فإنَّ في الدنيا أسبابًا وعلائِقَ تَصْرِفُ هوى النَّفسِ إلى الباطل والمحرَّمات، فيجبُ على العبدِ أن يحرصَ كُلَّ الحرصِ على قطعِ هذه العلائق، وأن يجتهدَ أعظمَ الاجتهاد في صَرْفِ هواهُ إلى ما يحبه الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، كما قال النبيُّ ﷺ حينما سُئِل أيُّ الجهادِ أفضلُ؟ قال: «أنْ تجاهدَ نَفْسَك وهواكَ في ذات الله عَزَّوَجَلَّ»[(١)].

وقد ذمَّ اللهُ عَزَّوَجَلَّ مَنْ انقادَ لهواهُ مُطلقًا فقال: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣].

قال قتادةُ في بيان المراد من اتِّخاذِ الهوى إلهًا: «لا يَهوى شيئًا إلا رَكِبَهُ لا يخافُ اللهَ عَزَّوَجَلَّ»[(٢)].

وقد ذكرَ ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ في كتابه «روضة المُحبِّين» فصلًا في ذَمِّ الهوى، وأوردَ فيه خمسينَ أمرًا تُعينُ المسلمَ على التَّغلُّبِ على هواه، وكيفَ يَجعلُ هواهُ تابعًا لشرع الله، وموافقًا لما يُحبُّه الله ويرضاه[(٣)].

وقال رَحِمَهُٱللَّهُ في أواخر هذا الفصل: «إنَّ مخالفة الهوى تُوجِبُ شرفَ الدنيا وشرفَ الآخرة، وعِزَّ الظاهرِ وعِزَّ الباطن، ومُتابَعَتُهُ -أي الهوى- تَضَعُ العبدَ في الدنيا والآخرة، وتُذِلُّهُ في الظاهر وفي الباطن»[(٤)].

---

(١) أخرجه أبو نُعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٢٤٩)، وصححه الألبانيُّ في «السلسلة الصحيحة» (١٤٩٦).

(٢) أخرجه الطبريُّ في «جامع البيان» (٢١/ ٩٣).

(٣) «روضة المحبين» (ص٦٢٩).

(٤) المصدر السابق (ص٦٤٨).

❁ **قال الإمام ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

«الرابع عشر: صَرْفُ الفِكْرِ إلى عَجَائب آيات الله التي نَدَبَ عِبادَهُ إلى التفكُّر فيها؛ وهي آياته المَتْلوَّة وآياته المخلوقة، فإذا استولى ذلك على قلبِهِ دَفَعَ عنه مُحاضَرَة الشيطان ومحادثَتَهُ ووسواسَهُ، وما أَعظم غَبنَ مَنْ أَمْكَنَهُ أن لا يزال محاضر الرحمن ورسوله والصحابة، فَرغِبَ عن ذلك إلى محاضرة الشيطان من الإنس والجنّ فلا غَبن بعد هذا الغَبن، والله المستعان».

التعليق:

الأمر الرابع عشر:



التَّفكُّرُ في آيات الله عَزَّوَجَلَّ

إذا صَرَفَ المسلِمُ فِكْرَهُ إلى عجائب آيات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ سواءٌ كان التفكُّر بالآيات المتلوَّة؛ وهي كلامُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، القرآن العظيم، أم كان التفكُّر في آياته المخلوقة؛ وهي آياته الكونيَّة، فإنَّ هذا التفكُّرَ سيفتحُ للعبد أبوابًا من الخير كثيرةً، وسيشْغَلُ قلبَهُ بالإيمان والصِّلَة بالله عَزَّوَجَلَّ؛ ممَّا يُبعِدُهُ ويُجَنِّبُهُ مُواقَعَةَ الآثام والخوضَ في الباطل، كما أنَّ هذا التأمُّل يُعَدُّ من أبرزِ الأسباب التي تَطْرُدُ الوساوسَ والشكوكَ عن النَّفس، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عِمْرَان: ١٩٠-١٩١].

قال أبو سليمان الدَّاراني: **«إني لأَخْرُجُ من منزلي، فما يقعُ بصري على شيءٍ إلا رأيتُ لله عَلَيَّ فيه نعمة، أو لِي فيه عِبرة»**[١].



(١) انظر: «تفسير القرآن العظيم» للحافظ ابن كثير (٢/ ١٨٤).

❁ **قال الإمام ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

«الخامس عشر: التَّفَكُّر في الدنيا وسُرعَةِ زَوالِها وقُربِ انقِضائِها، فلا يَرضى لنفسِهِ أن يَتَزَوَّدَ منها إلى دارِ بقائه وخلودِهِ أَخسَّ ما فيها وأقلَّه نفعًا إلا ساقطُ الهِمَّةِ، دَنيءُ المروءة، مَيِّتُ القلبِ، فإنَّ حَسْرَتَهُ تشتدُّ إذا عاينَ حَقِيقة ما تَزَوَّدَهُ، وتبيَّنَ له عَدَمُ نفعِهِ له، فكيف إذا كان تَرَكَ تَزَوُّدَ ما يَنْفَعُهُ إلى زادٍ يُعَذَّبُ به، وينالُهُ بسببِهِ غايةُ الألم؟! بل إذا تَزَوَّدَ ما ينفَعُهُ وتَرَكَ ما هو أَنفَعُ منه كان حَسْرَةً عليه».

التعليق:

الأمر الخامس عشر من بواعث ترك الذنوب:



سرعةُ زوال الدنيا وانقِضاؤها

فالحياة الدنيا سريعةُ الانقضاء، كما قال النبيُّ ﷺ: **«ما لي وللدنيا! ما أنا في الدنيا إلا كراكبٍ استظلَّ تحت شجرة ثم راح وتركها»**(١).

فإذا تفكَّر الإنسان في سرعة زوالها وأنها مع ذلك دار ابتلاء وامتحان تَيَقَّنَ أنَّ إضاعةَ الوقت في هذه الحياة القصيرة فيما لا ينفعُ من الخسران المبين، فَضْلًا أن يُضَيِّعَ وقتَهُ في المعاصي التي ستكون وبالًا عليه يوم القيامة.

ولذلك يقول النبيُّ ﷺ: **«كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»**(٢).

وذلك أنَّ الغريبَ وعابرَ السَّبيل لا يُعَلِّق قلبه بشيء في بلد الغربة بل قلبه متعلق بوطنه الأصلي، وإنَّما همُّهُ في سفرِهِ أن يقضيَ حاجَتَهُ ويرجعَ إلى وطنه(٣).

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٧٧)، وابن ماجه (٤١٠٩)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٤٧٨).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٦٤١٦).

(٣) انظر «فتح الباري» للحافظ ابن حجر (١١/ ٢٣٥).

❁ **قال الإمام ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

«السادس عشر: تعرُّضُهُ إلى مَنِ القلوبُ بينَ أُصبعيه، وأَزِمَّةُ الأُمورِ بيديه، وانتهاءُ كلِّ شيءٍ إليه على الدوام، فلعَلَّهُ أن يُصادِفَ أوقات النَّفَحات كما في الأثر المعروف: (إن لله في أيامِ دَهْرِهِ نفحاتٍ؛ فتَعَرَّضُوا لنفحاته، واسألوا الله أن يَسْتُرَ عوراتِكم، ويُؤَمِّن روعاتِكم)، ولعله في كثرة تعرُّضِهِ يصادفُ ساعةً من الساعات التي لا يُسْأَلُ اللهُ فيها شيئًا إلا أعطاهُ، فمن أُعطِيَ منشور الدعاء أُعْطِيَ الإجابة، فإنه لو لم يُرِدْ إجابتَهُ لما أَلهَمَهُ دعاءَهُ، كما قيل:

لو لم تُرِدْ نَيْلَ ما أَرجو وأطلُبُهُ ... من جُودِ كفِّكَ ما عَوَّدتني الطَّلبا

ولا يستوحش من ظاهر الحال؛ فإنَّ الله سبحانه يُعامِل عبدَهُ بمعاملةِ مَن ليسَ كمثله شيءٌ في أفعالِهِ، كما ليس كمثله شيء في صفاته، فإنه ما حَرَمَهُ إلا ليُعْطِيَهُ، ولا أَمْرَضَهُ إلا ليَشْفِيَهُ، ولا أَفقَرَهُ إلا ليُغْنِيَهُ، ولا أماتَهُ إلا لِيُحيِيَهُ، وما أَخْرَجَ أبويه من الجنة إلا لِيُعيدَهما إليها على أكملِ حال، كما قيل: (يا آدم لا تَجْزَع من قولي لك: اخرج منها، فلكَ خلقْتُها، وسأُعِيدُكَ إليها).

فالربُّ تعالى يُنْعِمُ على عبده بابتلائه، ويُعْطِيه بحِرْمانه، ويُصِحُّهُ بسَقَمِهِ، فلا يَسْتَوحِش عبدُهُ من حالةٍ تَسُوؤُهُ أصلًا إلا إذا كانت تُغْضِبُهُ عليه، وتُبْعِدُهُ منه».

التعليق:

الأمر السَّادس عشر:



الالتِجاءُ إلى مَن بيدِه كُلُّ شيء

فإذا عَلِمَ العبدُ أنَّ قلوب جميعِ العباد بين أُصبعين من أصابع الرحمن يُقلِّبها كيف يشاء[1]، وأنَّ أَزِمَّةَ الأُمورِ طَوعَ تدبيره وتسخيره عَزَّوَجَلَّ سارعَ إلى الالتِجاءِ إليه، وصِدْقِ التوكلِ عليه، والاعتصامِ به لِيَقِيه شرَّ نفسِهِ، ويُعيذَهُ ممَّا يسْخِطُهُ، ويهدِيه إلى صِراطِهِ

---

(١) أخرجه الترمذي (٢١٤٠)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٦٨٥).

المستقيم، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في حقِّ الصحابة: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ﴾ [الحجرات: ٧].

ولهذا جاءت السنَّةُ بأدعيةٍ كثيرة تحُثُّ على الاعتصام بالله عَزَّوَجَلَّ في الأمور كلِّها، منها دُعاؤُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**اهدِني لأَحْسَنِ الأخلاق لا يهدي لأَحْسَنِها إلا أنت، واصرِفْ عَنِّي سيِّئها لا يصرفُ عني سيِّئها إلا أنت**»(١).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**الاعتصامُ بالله والتَوكُّل عليه هو العمدة في الهداية، والعُدَّةُ في مُباعدة الغِواية، والوسيلة إلى الرشاد، وطريق السداد، وحصول المراد**»(٢).

❁ ❁ ❁

❁ **قال الإمام ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

«**السابع عشر: أن يعلمَ بأنَّ فيه جاذِبين مُتَضادَّين، ومِحْنَتُهُ بين الجاذبين، جاذِبٌ يجذبه إلى الرفيق الأعلى من أهل عِلِّيِّين، وجاذِبٌ يجذبه إلى أسفل سافلين، فكُلَّما انقادَ مع الجاذبِ الأعلى صَعَدَ درجةً، حتى ينتهيَ إلى حيثُ يليقُ به من المحلِّ الأعلى، وكُلَّما انقادَ إلى الجاذِبِ الأَسْفلِ نزلَ درجةً حتى ينتهيَ إلى موضِعِهِ من سِجِّين، ومتى أرادَ أن يعلمَ هل هو مع الرَّفِيق الأعلى أو الأسفل فيَنْظُر أينَ روحُهُ في هذا العالم؛ فإنها إذا فارَقَت البدنَ تكونُ في الرفيق الذي كانت مُنجَذِبةً إليه في الدنيا فهو أَوْلَى بها، فالمرءُ مع من أحبَّ طبعًا وعقلًا وجزاءً، وكلُّ مُهْتَمٍّ بشيءٍ فهو مُنْجَذِبٌ إليه وإلى أهله بالطبع، وكلُّ امْرِئٍ يَصْبُو إلى ما يُناسِبُهُ، وقد قال تعالى:** ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ [الإسراء: ٨٤]، **فالنفوسُ العُلوِيَّةُ تَنجَذِبُ بذاتها وهِمَمِها وأعمالها إلى أعلى، والنفوس السَّافلة إلى أسفل**».

---

(١) أخرجه مسلمٌ (١٧٦٢).

(٢) «تفسير القرآن العظيم» (٢/ ٨٦).

التعليق:

الأمر السابع عشر من بواعث ترك الذنوب:



التَيقُّظُ لجاذِبِ الخير والشَّرِّ

فكُلُّ عبدٍ فيه جاذبان متضادان؛ جاذِبٌ يجذبُهُ إلى الرفيق الأعلى، وهناك جاذب آخر يجذِبُهُ إلى أسفل سافلين، كالنَّفسِ الأمَّارة بالسوء، والشَّيطان، وقُرناء السُّوء، فإذا سار العبدُ مع جاذِب الخير أفلحَ ونَجا، وأما إذا تَبعَ جاذِبَ الشَّرِّ هلك -والعياذ بالله-.

فإن عُلِمَ هذا؛ فالواجبُ على كلِّ مسلم ناصِحٍ لنفسه أن يتيقَّظ، وينظُرَ في جاذِبِ الخيرِ فيلزَمَهُ، وأن ينأى ويَربأَ بنفسِهِ أن يسلكَ خلفَ جاذِب الشَّرِّ والغواية، لأن المرء سيُحشر مع مَن أحبَّ كما صحَّ الحديث عن النبي ﷺ[1].



❁ **قال الإمام ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

«الثَّامن عشر: أن يعلمَ أن تفريغَ المَحَلِّ شَرْطٌ لنزولِ غيثِ الرحمة، وتَنْقِيَتُهُ من الدَّغَلِ شَرْطٌ لكمال الزرع، فمتى لم يُفَرِّغ المحلَّ لم يصادفْ غيثُ الرَّحمةِ محلًّا فارغًا قابلًا ينزل فيه، وإن فرَّغَهُ حتى أصابَهُ غيثُ الرحمة لكنَّه لم يُنَقِّهِ من الدَّغَل لم يكن الزَّرْعُ زرعًا كاملًا، بل رُبَّما غَلب الدَّغَلُ على الزرع، وكان الحكمُ له، وهذا كالذي يُصْلِحُ أرضَهُ ويُهَيِّئُها لقَبولِ الزَّرْعِ، ويُودِعُ فيها البذر، ويَنْتَظِرُ نزولَ الغيث، فإذا طَهَّرَ العبدُ قلبَهُ وفرَّغَهُ مِن إرادات السوء وخواطره، وبَذَرَ فيه بذر الذكر والفكر والمحبة والإخلاص، وعَرَّضَهُ لمَهابِّ رِياحِ الرحمة، وانتظر نزول غيث الرحمة في أوانه؛ كان جديرًا في حصول المُغَل، وكما يَقوى الرَّجاءُ لنزول الغيث في وقته كذلك يَقوى الرَّجاء لإصابة نفحات الرَّحمن جَلَّجَلَالُهُ في الأوقات الفاضلة والأحوال الشريفة، ولا سيَّما إذا اجتمعتْ الهِمَم، وتساعدت القلوبُ، وعَظُمَ الجمعُ كجمع عرفة وجمع الاستسقاء وجمع أهل الجمعة، فإنَّ اجتماع

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٨٥)، وصححه الألباني في «فقه السيرة» (٢١٤).

الهمم والأنفاس أسبابٌ نَصَبَها اللهُ تعالى مُقْتَضِيَةٌ لحصول الخير، ونزول الرحمة، كما نَصَبَ سائرَ الأسبابِ مُفضِيةً إلى مُسَبَّباتِها، بل هذه الأسبابُ في حصولِ الرحمة أقوى من الأسباب الحسيَّة في حصول مُسَبَّباتها، ولكنَّ العبدَ لجهله يَغلِبُ عليه الشاهدُ على الغائب، والحسُّ على العقل، ولظلمه يُؤْثِرُ ما يحكم به هذا، ويَقْتَضِيهِ على ما يحكم به الآخر ويَقْتَضِيه، ولو فَرَّغَ العبدُ المحلَّ وهيَّأَه وأصلَحَهُ لرأى العجائب، فإنَّ فضلَ الله لا يَرُدُّه إلا المانعُ الذي في العبدِ، فلو أزالَ ذلك المانعَ لسارعَ إليه الفَضْلُ مِن كُلِّ صوبٍ، فتأمَّل حال نَهرٍ عظيم يَسْقِي كلَّ أرضٍ يَمُرُّ عليها، فحَصَلَ بينَهُ وبين بعض الأرض المُعْطَشَة المُجْدِبة سُكْرٌ وسَدٌّ كثيفٌ، فصاحِبُها يشكو الجدبَ والنهرُ إلى جانب أرضه!».

التعليق:

الأمر الثامن عشر:

التخلية قبل التحلية

بيَّن المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ قاعدةً عظيمةً؛ وهي أنَّ تفريغَ القلبِ من دَرَنِ الشرك والبدعة والمعصية شرطٌ لحصول الخير والبركة، وضَرَبَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لذلك مَثَلًا مَحْسُوسًا، وهو أنَّ مَن أراد أن يزرعَ زَرْعًا فعليه أوَّلًا أن يُنَقِّيَ الأرضَ من الأدران، ويُهَيِّأَها للزراعة، فإنَّها بعدَ ذلك ستكون أرضًا صالحةً للإنبات والإثمار، وعليه أيضًا أن يتعاهدَ النبات، وأن يَحميَهُ ممَّا يَضرُّهُ؛ فَيُبعِد عنه النَّباتات والحشرات المؤذية، والتي قد تنخر فيه وتُمرِضُه، وبذلك يسلَمُ له زرعه وينمو خيرَ نماء.

فهكذا يجبُ أن يكون حالُ المؤمن؛ فيجتهدُ أولًا بتنقيةِ قلبِهِ وتصفيَتِه من أنواع الشِّرك والمعاصي؛ ليَعْمُرَ الإيمان في قلبه ويُثمِر، ثمَّ يجتَهِدُ بعدَ ذلك بتعاهُدِ هذا الإيمان وتصفِيَتِه ممَّا قد يَشوبُهُ من الذنوب والمعاصي؛ فيبادر إلى التوبة والاستغفار، والتَّخلُّصِ منها بالإقلاع عنها؛ ليزداد الإيمان نُمُوًّا في قلبه، وتنزل عليه الرَّحماتُ والبركات.

❁ ❁ ❁

❁ قال الإمام ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«التاسع عشر: أن يعلمَ العبدُ أن اللهَ سبحانه خَلَقَهُ لبقاء لا فناءَ له، ولعِزٍّ لا ذُلَّ معه، وأَمنٍ لا خَوفَ فيه، وغَناءٍ لا فَقْرَ معه، ولذَّةٍ لا أَلَمَ معها، وكمالٍ لا نَقْصَ فيه، وامتَحَنَهُ في هذه الدار بالبقاء الذي يسرع إليه الفناء، والعزِّ الذي يُقارنه الذُّل ويَعقُبُهُ الذُّل، والأمنِ الذي معه الخوف وبعدَه الخوف، وكذلك الغَناءُ واللذَّة والفَرحةُ والسرورُ والنعيمُ الذي هنا مَشُوبٌ بضدِّهِ؛ يَتَعَقَّبُهُ ضدُّه، وهو سريع الزَّوال، فغَلِطَ أكثرُ الخلق في هذا المقام إذْ طلبوا النَّعيمَ والبقاءَ والعزَّ والمُلك والجاه في غيرِ مَحِلِّهِ، ففاتَهم في مَحِلِّهِ، وأكثَرُهم لم يظفر بما طلبَهُ من ذلك، والذي ظَفر به إنما هو متاعٌ قليلٌ، ثم يزول عنه، والرسل إنما جاؤوا بالدعوة إلى النَّعيم المقيم، والمُلْكِ الكبير، فمَنْ أجابهم حَصَلَ له ألذُّ ما في الدنيا وأطيَبُهُ، فكان عيشُهُ فيها أطيبَ من عيشِ الملوك فمن دُونَهم، فإنَّ الزهدَ في الدنيا مُلْكٌ حاضِرٌ، والشيطان يَحسُدُ المؤمنَ عليه أعظمَ حَسَدٍ؛ فيحرصُ كلَّ الحرصِ على أن لا يَصِل إليه، فإنَّ العبدَ إذا مَلَكَ شهوتَهُ وغضبَهُ فانقادا معه لداعي الدِّين فهو المَلِكُ حقًّا؛ لأنَّ صاحبَ هذا المُلْكِ حُرٌّ، والمَلِكُ المُنْقادُ لِشهوته وغضَبِه عبدُ شهوته وغضبه، فهو مُسَخَّرٌ مَملوكٌ في زِيِّ مالك، يقودُهُ زِمَامُ الشهوةِ والغضبِ كما يُقَاد البَعير، فالمغرورُ المخدوعُ يَقَعُ نَظَرُه على المُلكِ الظاهرِ الذي صورَتُهُ مُلْكٌ وباطِنُهُ رِقٌّ، وعلى الشهوة التي أوَّلُها لَذَّةٌ وآخرها حَسْرةٌ، والبصير المُوَفَّق يُغَيِّرُ نَظَرَهُ مِنَ الأوائل إلى الأواخر، ومن المَبادئ إلى العَواقب، وذلك فضلُ الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم».

التعليق:

الأمر التاسع عشر:



النعيم والعِزُّ الحقيقيُّ في دار البقاء

إنَّ الله عَزَّوَجَلَّ خلَقَ للعِبادِ بقاءً لا فناء بعدَه، وعِزًّا لا ذلَّ فيه، وغِنًى لا فقر معه، وأَمْنًا لا خوف بعدَه، وذلك في جنَّات النعيم، كما قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا

ٱلْحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ [فَاطِر: ٣٤-٣٥].

ولكنَّ الله عَزَّوَجَلَّ امتحنه في هذه الدار بمُتَع فانية، ولذَّاتٍ مُنغَّصة، ومُلكٍ زائلٍ، فإن هو صبرَ عنها، واجتَنَب ما حرَّمَ الله عليه منها أعقبَهُ الله بالنعيم الحقيقيِّ، واللَّذة الدائمة في الآخرة، كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هُود: ١٠٨].

فالعبدُ المؤمن إذا استحضرَ في نفسه هذا النعيم المقيم، وعَلِمَ أنَّ لذَّة المعصيةِ الزَّائلة سببٌ لحِرمانه من هذه المقامات العالية جاهَدَ نفسَهُ على مقاومتِها واجتنابها لينال الهَناءَة والسَّعادة الدَّائمة.

❁ ❁ ❁

❁ **قال الإمام ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

«العشرون: أن لا يَغْتَرَّ باعتقاده أن مُجَرَّدَ العِلمِ بما ذكرنا كافٍ في حصول المقصود، بل لابدَّ أن يُضِيفَ إليه بذلَ الجُهْدِ في استعماله، واسْتِفْراغَ الوُسْع والطاقة فيه، ومَلاك ذلك الخروجُ عن العَوائد؛ فإنها أعداءُ الكمال والفلاح، فلا أفْلَحَ من استَمَرَّ مع عوائِدِه أبدًا، ويَستَعِينُ على الخروج عن العوائد بالهرب عن مَظانِّ الفتنة، والبعد منها، قال النبي ﷺ: «من سَمِعَ بالدَّجَّال فلْيَنْأَ عنه»[1]، فما استُعِينَ على التَّخلُّص من الشر بمِثْلِ البُعْدِ عن أسبابِهِ ومَظانِّهِ».

وههنا لطيفة للشيطان لا يتخلَّص منها إلا حاذق: وهي أن يُظْهِرَ له في مَظانِّ الشّر بعضَ شيءٍ من الخير، ويدعوه إلى تَحصِيله، فإذا قَرُب منه ألقاه في الشَّبكة، والله المستعان».

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٣١٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٣٠١).

التعليق:

الأمر العشرون:



جهاد النَّفسِ والتَّخلُّصُ مِن عوائِدِ السوء

فالعبدُ إذا ابتُلِيَ بمعصِيةٍ من المعاصي، وأعتاد على فعلِها، فعليه أن يبذُلَ كامل وُسْعِه وطاقِتِه لترك هذا الاعتياد السيِّءِ، وأنفعُ ما يفعَلُهُ لذلك -بعد الاستعانة بالله عَزَّوَجَلَّ- أن يتخلَّص من الأسبابِ المؤديِّة لهذه المعصية؛ فإن كانت تقعُ مع رفقة سوءٍ فالواجبُ مفارقتهم، وإن كانت تحصل المعصية عند استخدام شيءٍ من الأجهزة الحديثة تخلَّصَ منها، وإن كانت المعصيةُ تتكرَّرُ منه في أرضٍ خاصَّة خرجَ منها، وغادرها.

ويدلُّ لذلك قِصَّة الرَّجلِ الذي قتلَ مائةَ نفسٍ، وذَهبَ إلى عالِمٍ من العُلماء، وسألته هل له توبة؟ فقال له: «**نعم، ومن يحولُ بينَكَ وبين التَّوبة؟ انطَلِق إلى أرضِ كذا وكذا، فإنَّ بها أُناسًا يعبدون الله فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أَرْضِك، فإنها أرضُ سوء ...**»(١).

قال الحافِظُ ابنُ حَجَر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فيه إشارة إلى أنَّ التَّائب ينبغي له مفارقة الأحوال التي اعتادها في زمن المعصية والتحوُّل منها كلِّها»(٢).

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٧٠)، ومسلم، واللفظ له (٢٧٦٦).

(٢) «فتح الباري شرح صحيح البخاري» (٦/ ٥١٧).



خاتِمَـة

هذه بواعث قيِّمة ذكرها الإمام ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ ينبغي الاعتناء بها، ومجاهدةُ النفس على العمل بها، واستحضارُها متى ما سوَّلت النفسُ بشيءٍ من الباطل، لتحصُل للعبد السلامة والعافية والرِّفعة في الدارين.

ويتأكَّد في هذا المقام -وفي كل مقام- كثرةُ الدعاء، وحُسنُ الالتجاء إلى الله عَزَّوَجَلَّ، فإنَّ الهداية والتوفيق والاستقامة بيد الله وحده عَزَّوَجَلَّ، ومن أعطي الدعاء أعطي الإجابة، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

فما أحوجَ العبد إلى أن يُكثر الدعاء والالتجاء إلى سيِّده وربِّه ومولاه أن يهديه، وأن يصلح قلبه، وأن يثبته على الحق والهدى، وأن يعيذه من سبيل الهلاك والرَّدى، والتوفيق بيد الله وحده.

ونسألُ اللهَ أن يرزقنا أجمعين توبةً نَصوحًا، والثَّبات على الأمر، والعزيمة على الرُّشد، وأن يغفر لنا ما قدَّمنا وما أخرنا، وما أسررنا وما أعلنَّا، وما هو أعلم به منَّا، إنَّه غفور رحيم.

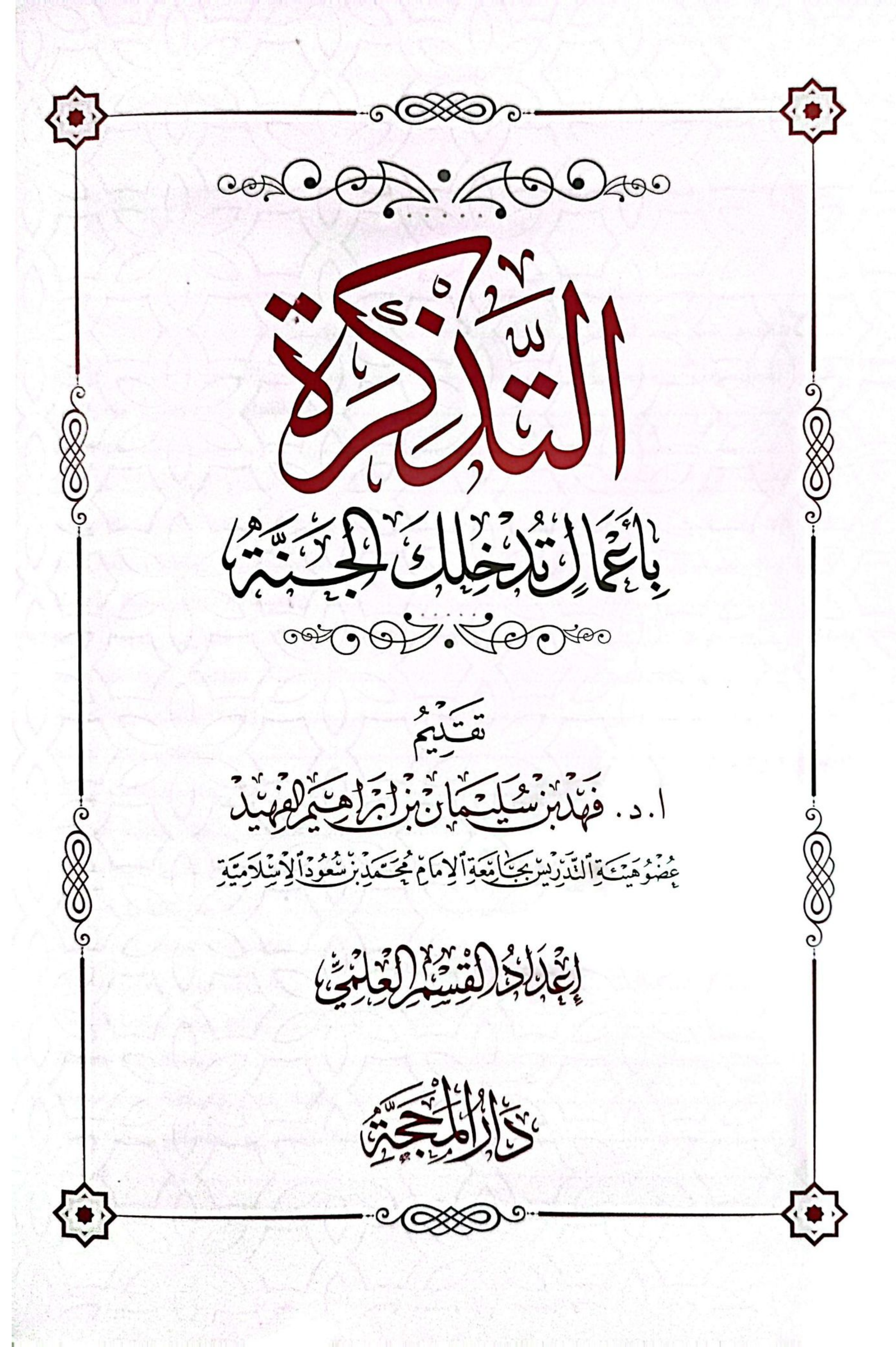
ونسألُه أن يُوَفِّقنا لما يُحبُّه ويرضاهُ من القول والعمل والهدي والنيَّة، والحمد لله وحدَهُ، وصلى الله وسلَّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.





فِهرسُ الموضُوعاتِ





التذكرة

بأعمال تدخلك الجنة

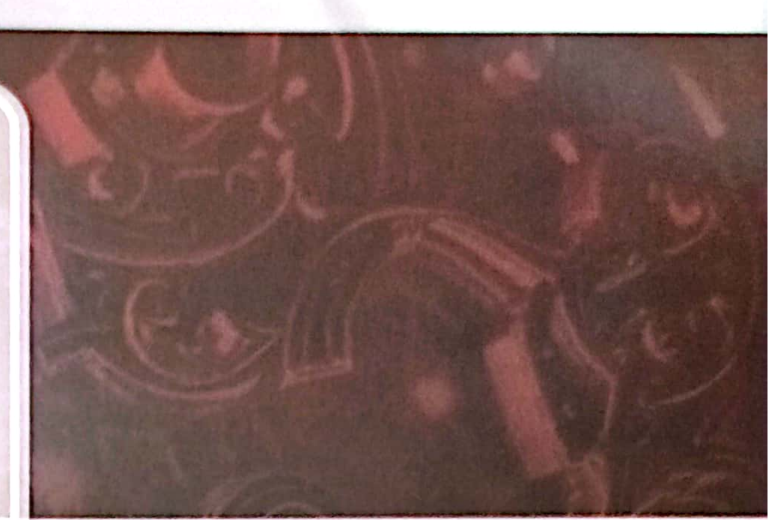
تقديم

أ.د. فهد بن سليمان بن إبراهيم الفهيد

عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

إعداد القسم العلمي

دار المحجة



اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

الرئيس: الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ

س: **هل طباعة الكتب الشرعية الصحيحة ينتفع بها الإنسان بعد موته ويدخل في العلم الذي ينتفع به كما جاء في الحديث؟**

ج: **طباعة الكتب المفيدة التي ينتفع بها الناس في أمور دينهم ودنياهم هي من الأعمال الصالحة التي يثاب الإنسان عليها في حياته ويبقى أجرها ويجري نفعها له بعد مماته، ويدخل في عموم قوله ﷺ فيما صح عنه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له».** رواه الإمام مسلم في «صحيحه» والترمذي والنسائي والإمام أحمد.

وكل من ساهم في إخراج هذا العلم النافع يحصل على هذا الثواب العظيم سواء كان مؤلفًا له أو معلمًا أو ناشرًا له بين الناس أو مخرجًا أو مساهمًا في طباعته، كل بحسب جهده ومشاركته في ذلك. الفتوى رقم: [٢٠٠٦٢]



قال الإمام العلامة محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ:

«..فطباعة الكتب النافعة صدقة جارية لا شك فيها، لكن ينبغي لمن أراد أن يطبع كتبا ينتفع المسلمون بها أن يستشير أهل العلم الموثوق بعلمهم ولا يطبع كل كتاب مقدم إليه، ولا يأخذ بقول كل إنسان وهو لا يعرفه..».

فتاوى نور على الدرب، الشريط رقم: [٣٣٨]

